ديناميكية الاستدراك:
استخدام (لكن) في شعر أبي تمام – مقاربة في ضوء نظرية الفوضى

The Dynamic of Correction: The Use of (But) in the Poetry of Abu Tammam – An Approach in the Light of Chaos Theory

إعـــــــــداد:

د. نهال عبد الله غرايبة

أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية بمنيسوتا – المركز الرئيسي

الملخص

يتناول هذا البحث توظيف أداة الاستدراك «لكن» في شعر أبي تمام بوصفها عنصرًا بنيويًا فاعلاً في تشكيل الحركة الدلالية داخل البيت الشعري. وينطلق من سؤال رئيس مفاده: هل تؤدي «لكن» وظيفة تقييدية تقليدية فحسب، أم تمارس دورًا تحويليًا يُعيد توجيه مركز المعنى؟ اعتمدت الدراسة منهجًا تحليليًا أسلوبيًا ذا بعد دلالي، مع الاستفادة من مفهوم اللاخطية بوصفه أداة تفسير إجرائية تصف طبيعة التحول المفاجئ في مسار المعنى، دون إسقاط فلسفي خارج السياق البلاغي. وقد كشفت القراءة التطبيقية لنماذج مختارة من شعر أبي تمام أن الاستدراك يتجاوز حدود التصحيح الجزئي، ليُحدث انعطافًا دلاليًا ينقل الخطاب من مستوى إلى آخر، ويعيد توزيع العلاقات بين عناصر البنية الشعرية، بما يولّد توترًا معرفيًا ومفارقة داخلية. وتخلص الدراسة إلى أن خصوصية أبي تمام لا تكمن في استخدام الأداة ذاتها، بل في إدماجها ضمن بنية قائمة على التحول والمفارقة، الأمر الذي يمنح الاستدراك وظيفة بنيوية تتجاوز مألوف الاستعمال البلاغي التقليدي.

الكلمات المفتاحية: الاستدراك، لكن، أبو تمام، اللاخطية، التحول الدلالي، البنية الشعرية.

Abstract

This research deals with the use of the tool of “but” in Abu Tammam’s poetry as an active structural element in the formation of the semantic movement within the poetic stanza. It proceeds from a major question: does “but” perform only a traditional restrictive function, or does it exercise a transformative role that redirects the center of meaning? The study adopted a stylistic analytical approach with a semantic dimension, taking advantage of the concept of non-linearity as a procedural interpretive tool that describes the nature of the sudden shift in the path of meaning, without a philosophical projection outside the rhetorical context. The reading revealed The application of selected models of Abi Tammam’s poetry is that correction goes beyond the limits of partial correction, to create a semantic turn that moves the discourse from one level to another, and redistributes the relationships between the

elements of the poetic structure, generating cognitive tension and internal paradox. The study concludes that the peculiarity of Abu Tammam does not lie in the use of the instrument itself, but in its integration into a structure based on transformation and paradox, which gives the remedy a structural function that goes beyond the usual traditional rhetorical usage.

Keywords: Correction, But, Abu Tamam, Non-Linearism, Semantic Transformation, Poetic Structure.

المقدمة

شهد النقد الأدبي المعاصر انفتاحًا على مقاربات بينية أعادت قراءة النصوص في ضوء مفاهيم تفسيرية مستمدة من علوم أخرى، شريطة ضبطها منهجيًا. وفي هذا السياق يمكن الاستفادة من مفهوم اللاخطية بوصفه أداة توصيف لحركة المعنى حين تنكسر استقامته المتوقعة داخل البنية النصية.

تُعد أداة الاستدراك «لكن» من الأدوات المركزية في النظام الدلالي العربي؛ إذ تُستخدم لرفع توهّم أو تقييد حكم سابق. غير أن حضورها في شعر أبي تمام يشي بوظيفة تتجاوز هذا الإطار الوصفي، بحيث تغدو عنصرًا مفصليًا يعيد توجيه البنية الدلالية داخل البيت.

وتتمثل إشكالية البحث في تحديد طبيعة التحول الذي تُحدثه «لكن» في شعر أبي تمام: هل تبقى ضمن حدود الاستدراك البلاغي التقليدي، أم تؤدي دورًا بنيويًا يعيد توزيع مركز المعنى؟

وتفترض الدراسة أن «لكن» لا تعمل بوصفها أداة تصحيح نحوي فحسب، بل تؤدي دورًا بنيويًا يُحوّل ما بعدها إلى بؤرة دلالية، بما ينتج حركة غير خطية في مسار المعنى.

تعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا أسلوبيًا يقوم على تفكيك البنية التركيبية للاستدراك، وبيان أثره البلاغي، ثم تتبع التحول الدلالي الناتج عنه داخل السياق الشعري. ويقتصر التطبيق على نماذج مختارة من شعر أبي تمام، دون ادعاء استقصاء إحصائي شامل أو تعميم مطلق للنتائج.

ويعود اختيار أبي تمام إلى ما يتميز به شعره من كثافة تركيبية وتعقيد دلالي، جعلاه موضع جدل نقدي قديم وحديث، كما أن أداة «لكن» تتكرر في سياقاته بوصفها عنصرًا محوريًا في بناء المفارقة والتوتر المعرفي. ومن ثمّ فإن دراسة هذه الأداة في شعره تمثل مدخلاً كاشفًا لطبيعة حركية المعنى في تجربته الشعرية.

أما الدراسات السابقة، فتشير إلى أهميتها في وضع الإطار النظري لنظرية الفوضى، وقد تنوّعت بين الحقول الطبيعية والعلمية والأدبية. من أبرزها:

- كاثرين هيلز في كتابها قيد الفوضى: الاضطراب المرتّب في الأدب والعلوم المعاصرة (Chaos Bound، 1990)، حيث ربطت بين نظرية الفوضى والنقد الأدبي الحديث.

- برايان وارد في أطروحته (The Literary Appropriation of Chaos Theory 1998)، ناقش كيفية توظيف الفوضى في النقد الأدبي لتحليل التعقيد والتشظي والتداخل الدلالي.
- ميرجا بولفنين في (Reading the Texture of Reality 2008)، درست الفوضى من منظور «الأنسنة»، مركزة على تفاعل الإنسان مع العالم عبر النصوص الأدبية التي تمثل الواقع بمستويات رؤية ولغة متداخلة.

ومن الدراسات العربية:

- سعيد علوش في كتابه نظرية العماء وعولمة الأدب (2000)، حيث حاول بناء إطار معرفي عربي لمفهوم «العماء» بوصفه فوضى أدبية ناتجة عن التفكك والتعدد والانزياح.
- إليا بريغوجين وإيزابيلا استنجر في نظام ينتج من الشواش (2008)، عرضا فلسفة الفوضى بصفتها قدرة كأمنة على إنتاج نظام ديناميكي جديد، مؤكدَين أن الفوضى ليست خللاً، بل مظهرًا من مظاهر الحياة.
- جايمس غليك في نظرية الفوضى: علم اللامتوقع (2008)، قدم تبسيطًا علميًا ومعرفيًا للنظرية وأبرز تطبيقاتها في مختلف العلوم، بما فيها الأدب واللغة.
- شريفة العبودي في نظرية الفوضى والأدب (2011)، قدمت تصورًا متكاملاً لتطبيق النظرية على النص الأدبي، متوقفة عند تجربة ألف ليلة وليلة.

وبينما توفر هذه الدراسات إطارًا نظريًا رصينًا، تسعى الدراسة الحالية إلى تقديم قراءة مبتكرة للنص الشعري، من خلال تحليل أداة «لكن» في شعر أبي تمام، وبيان كيفية توظيفها لإنتاج دلالات متذبذبة وبنية شعرية لاخطية.

وقد قُسّمت الدراسة إلى : مقدمة، وإطار نظري يتناول مفهوم الاستدراك في العربية ونظرية الفوضى ومبادئها، ثم الجانب التطبيقي، وأخيرًا الخاتمة، وقائمة بالمصادر، والمراجع.

الإطار النظري: نظرية الفوضى وأداة الاستدراك: تحديد المفاهيم وضبط المقاربة

نظرية الفوضى – تحديد المفهوم في سياقه الإجرائي

تُعرف نظرية النظم الديناميكية اللاخطية، أو ما يُشيع تسميته عربيًا بـ«نظرية الفوضى»[517]، بأنها إحدى أبرز التحولات المعرفية في القرن العشرين بعد النسبية والكم، إذ أعادت النظر في مفاهيم الحتمية والانتظام والتنبؤ. ورغم تعدد الترجمات (الشواش، العماء، كاوس)، ظل مصطلح «الفوضى» الأكثر تداولاً في الأوساط العلمية والثقافية.[518]

فقد قدَّمت للفكر الإنساني رسالة مهمة، مضمونها أن ما يظن من ظواهر الطبيعة من فوضى أو عشوائية هي أبعد ما تكون عن هذا التصوُّر، فظواهر الطبيعة مبنية على قوانين محكمة، ولكنها قد تخرج عن حالة النظام إلى اللانظام لأسباب تحاول أن تفسَّرها النظرية.

إن أهمية هذه النظرية تكمن في كشفها عن أن كثيرًا من الأنساق التي كنا نظن أنها فوضوية تمامًا، تحمل في الواقع درجة من النظام، وهي في الغالب معقدة، كما تخضع هذه الأنساق لقوانين، ويمكن في أحيان كثيرة التنبؤ بمستقبلها، خصوصًا على المدى القصير، دون المدى الطويل[1](519). وتبيّن أن الظواهر الفوضوية لا تكشف لنا في الظاهر عن أي نظام مهما كانت بساطته، بل هي في الحقيقة أنساق غير خطية، أي أنها معقدة، فهي تحتوي على نظام لكنه مخفي ومستور[2](520).

ولا يُقصد بهذه النظرية في هذا البحث نقل بنيتها الرياضية أو إسقاط قوانينها الفيزيائية على النص الشعري، بل توظيفها بوصفها إطارًا تفسيريا يساعد على قراءة التحولات الدلالية بوصفها انتقالات لاخطية داخل البنية النصية. وعليه، فإن استخدامها هنا محكوم بضوابط منهجية تمنع تحوّل المفاهيم إلى استعارات إنشائية عامة.

وينحصر التوظيف الإجرائي للنظرية في ثلاثة مفاهيم محددة:

1. اللاخطية: ويُقصد بها انكسار المسار الدلالي المتوقع داخل السياق الشعري.

2. نقطة التحول: وهي اللحظة التي يُعاد فيها توجيه المعنى نتيجة عنصر لغوي مفصلي.

(517) للاستزادة في نشأة النظرية، انظر: غرايبة، نهال عبد الله، **نظرية الفوضى في الشعر العباسي: من التمرد إلى الجمال (مقاربة نصية في شعر أبي نواس، وأبي تمام، والمتنبي)**، ط1، عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2025، ص: 18 وما بعدها.

(518) انظر: غرايبة، نهال عبد الله، **نظرية الفوضى في الشعر العباسي**، ص: 26 وما بعدها.

[1](519) بلكا، إلياس، **الوجود بين السببية والنظام**، ط1، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،2009، ص: 338

[2](520) بلكا، إلياس، **الوجود بين السببية والنظام**. ص: 329

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online

3. الحساسية السياقية: وتعني قابلية البنية النصية للتأثر بعنصر لغوي صغير يحدث أثرًا دلاليًا كليًا.

ولا تُستعمل هذه المفاهيم إلا حيث تتوافر قرائن لغوية صريحة يمكن رصدها وتحليلها، بحيث يكون المفهوم تابعًا للنص لا مفروضًا عليه.

ويُقصد باللاخطية – في هذا البحث – انكسار المسار الدلالي المتوقع داخل السياق نتيجة عنصر لغوي مفصلي. ويُستخدم هذا المفهوم استخداما إجرائيًا محدودًا لتوصيف التحولات النصية، دون نقل بنيته العلمية أو إسقاط قوانينه على النص الأدبي.

الاستدراك في العربية – من الوظيفة النحوية إلى الأثر البلاغي

يُعد الاستدراك من الظواهر التركيبية الدالة في العربية، ويقوم على رفع توهّمٍ أو تعديل حكم سابق بحكم لاحق، وقد عرفه ابن منظور بقوله: «أدركت الشيء إذا لحقته بعد فواته، واللحاق بما فاته المرء من أمر أو تصحيح ما وقع فيه»[521]، فيما عرّفه ابن يعيش بأنه: «لكن» هي للاستدراك توسطها بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا، فيستدرك بها النفي بالإيجاب بالنفي وذلك قولك: "ما جاءني زيد لكن عمرًا جاءني"، و"جاءني زيد لكن عمرًا لم يجيء»[522].

وفي البلاغة، يُستخدم الاستدراك لإظهار الاستثناء أو التعارض أو التقييد من خلال أدوات مخصوصة مثل: (لكن، إلا أن، مع ذلك)، وهي أدوات تضيف بعدًا دلاليًا جديدًا يوازن المعنى ويوجّهه، ويُقصد بالاستدراك في الاصطلاح البلاغي إيراد ما يُبطِل توهّمًا قد يتولّد من الكلام السابق، أو رفع حكمٍ ظُنّ ثبوته من السياق[523]، وغالبًا ما تُستعمل له أداة «لكن»، وتعد من أشهر أدوات الاستدراك وأعمقها أثرًا؛ إذ تنقض أو تقيد الحكم السابق، وتفتح مسارًا غير متوقع للنص.

وهو أيضًا مخالفة حكم ما بعد «لكن» لحكم ما قبلها مع التوهم أولا، أو هو تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم منه ثبوته، أو إثبات ما يتوهم منه نفيه[524]، ومن أمثلة ذلك: «علي غني لكنه بخيل»؛ «علي غني» إثبات للغنى له، وهذا يستلزم عادة الجود والكرم وسعة اليد في الإنفاق

(521) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، القاهرة: دار المعارف، 1996، ج2، ص: 345 مادة: درك.
(522) ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، شرح المفصل للزمخشري، ، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001، ج4، ص 560 – 561
(523) انظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983، ص: 21
(524) انظر: الشافعي، أبو العرفان محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، ج1، ص: 398

على نفسه وغيره، فتستدرك بأنه بخيل، بما يزيل توهم السامع من كلمة «غني»، فالحكم الأول يوحي بالكرم، غير أنّ مجيء «لكن» يبطله بالحكم المضاد، فتُعاد صياغة الدلالة وفق نظام جديد، وهكذا تمثل «لكن» هنا نقطة تحول تعيد توزيع العلاقة بين المعنى والصياغة، بحيث ينتقل مركز الثقل من تقرير استقلال المعنى إلى إبراز دور البنية الصوتية في تمكينه.

ويشير الطيّب في دراسته الحديثة إلى أن الاستدراك وسيلة بلاغية فاعلة تُستخدم أحيانًا لتقوية الحجة أو لتوضيح استثناء خفي، مما يجعله أداة مركزية في التراكيب التي تتطلب دقة في المعنى وتناغمًا بين العناصر[525].

آلية النقل البيني بين الفوضى والتحليل البلاغي

يقوم هذا البحث على مقاربة بينية تضبط العلاقة بين البلاغة ونظرية الفوضى داخل التحليل النصي ذاته، لا في الإطار النظري فحسب. ويتمّ ذلك وفق الآلية الآتية:

1. رصد البنية التركيبية لأداة «لكن» في السياق الشعري.
2. تحليل أثرها البلاغي وفق المفاهيم التقليدية (رفع التوهّم، التقييد، المفارقة).
3. تفسير طبيعة التحول الدلالي الناتج عنها في ضوء المفاهيم الإجرائية الثلاثة المشار إليها أعلاه.

وعليه، فإن المفهوم الفوضوي لا يُستدعى إلا بعد تحقق التحول النصي، وبشرط أن يكون هذا التحول قابلاً للوصف البلاغي الدقيق. فالمقاربة هنا تفسيرية إضافية، لا بديلاً عن التحليل البلاغي.

وبهذا الضبط المنهجي يُتجنب الوقوع في إسقاطات مجازية عامة، ويُحافظ على استقلالية النص، مع الاستفادة من أفق نظري يساعد على تفسير ديناميكية التحولات داخله.

ومن هذا المنطلق، يصبح الانتقال إلى التحليل التطبيقي عند أبي تمام أمرًا طبيعيًا؛ إذ سنحاول دراسة كيفية توظيفه لأداة «لكن» في نصوصه، وما يترتب على ذلك من ديناميكية فوضوية مضبوطة داخل البنية الشعرية.

(525) الطيب، عبد الله، **البلاغة العربية: دراسة تحليلية للأساليب**، القاهرة: دار الكتب العلمية، 2004، ص: 78

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online

الاستدراك كآلية فوضوية في شعر أبي تمام

سأقوم في هذا الجزء بتحليل أمثلة مختارة من شعر أبي تمام تُظهر ديناميكية «لكن» في خلق اضطراب معرفي، فإذا كان الدور النحوي لـ «لكن» يقتصر على رفع توهّم أو تقييد معنى، فإنّ حضورها في شعر أبي تمام يتجاوز هذه الوظيفة ليغدو أداةً ديناميكية تُولِّد التوتر الدلالي، وتفتح النص على احتمالات غير متوقعة، فـ «لكن» عنده ليست مجرّد فاصلة نحوية، بل هي نقطة انعطاف بلاغية تُعيد توجيه المعنى، وتضع القارئ في حالة من الترقّب والانتظار، ومن هنا سيتم ربط استخدام "لكن» عند أبي تمام ببعض مفاهيم نظرية الفوضى، لإظهار كيف تُحوِّل هذه الأداة النص الشعري إلى فضاء غير خطّي مليء بالاحتمالات والتقلبات الدلالية.

الاستدراك بوصفه انتقالاً من تقرير إلى نقض ضمني

يقول أبو تمام:

أما المعاني فهي أبكارٌ إذا نُصَّتْ، ولكنَّ القوافيَ عُونُ[526]

في هذا البيت، يُقدّم أبو تمام فكرة مفادها أن المعاني (الأفكار الشعرية) هي أشياء جديدة وعذراء (أبْكار) بمجرد أن تُنصّ وتُعبر عنها، هذا هو الجزء الأول من العبارة، وهو يصف طبيعة المعنى الأصيل، وفيه بنية شعرية عميقة تحتمل قراءة دقيقة في ضوء نظرية الفوضى، مع تركيز خاص على استخدام أداة الاستدراك «لكن"، وهي أداة تحمل دلالة تحول وانعطاف.

أولاً: التحليل البلاغي

يفتتح البيت بتقرير يُضفي على «المعاني» صفة البكارة، فيجعلها جديدة متجددة كلما أُبرزت في صيغة شعرية. فالتشبيه هنا يُعلي من شأن الفكرة ويجعلها عنصر الإبداع الأصيل.

غير أنّ أداة الاستدراك «لكن» تنقل مركز الثقل من المعنى إلى القافية، فتقرر أنّ القوافي ليست عائقًا أمام توليد المعنى، بل عنصرًا مساعدًا في إظهاره. وبذلك لا تنقض الأداة الحكم الأول، بل تُعيد ترتيب العلاقة بين الطرفين: فالمعاني أصل، والقوافي وسيلة تمكين.

وظيفة «لكن» هنا ليست نفي الحكم السابق، بل تعديل زاوية النظر إليه؛ إذ تنتقل البنية من تمجيد المعنى بوصفه جوهرًا مستقلاً، إلى تأكيد التفاعل بين المعنى والبنية الصوتية.

ومن الناحية الأسلوبية، يتحقق في البيت:

(526) أبو تمام، **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**، ط4، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ج3، ص330.

كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا Islamic University of Minnesota IUM المركز الرئيسي

- انتقال من المجرد (المعاني) إلى المحسوس النسبي (القوافي)
- إعادة توزيع القيمة بين الفكرة والصياغة
- توتر خفيف بين الإبداع الحر والانضباط الشكلي

ثانيًا: القراءة في ضوء نظرية الفوضى

يمكن النظر إلى هذا الانتقال بوصفه تحولاً في المسار الدلالي. فالتوقع بعد تقرير «بكارة المعاني» أن يستمر الخطاب في تأكيد استقلالها أو صعوبتها، غير أن الاستدراك يغيّر اتجاه الخطاب نحو عنصر لم يكن في بؤرة التركيز.

بهذا المعنى تُحدث «لكن» انعطافًا في ترتيب الأولويات داخل البيت؛ إذ تعيد تعريف العلاقة بين الجوهر والصياغة. فالتحول لا يتم عبر إلغاء الحكم الأول، بل عبر إدخاله في شبكة تفاعل جديدة.

ويمكن وصف هذه الحركة بأنها انتقال غير خطي، لأن المعنى لا يتطور امتدادًا مباشرًا لما قبله، بل يُعاد تنظيمه عند نقطة مفصلية. غير أن هذا التوصيف يظل تفسيرًا مساعدًا، قائمًا على البنية البلاغية نفسها، لا بديلاً عنها.

الاستدراك بوصفه لحظة انعطاف دلالي لاخطي

يقول أبو تمام:

بَلِيَ الجِسمُ لكنّ الشوقَ حيٌّ ليسَ يَبلى وليسَ تبلى الشجونُ[527]

هو بيت بالغ الجمال، ويتيح لنا قراءة متميزة إذا ما حلّلناه في ضوء نظرية الفوضى، وبخاصة من خلال التركيز على أداة الاستدراك «لكن».

أولاً: التحليل البلاغي

يقوم البيت على مفارقة بين فناء الجسد ودوام العاطفة. فالشطر الأول «بلي الجسم» يقرر حقيقة زمنية مرتبطة بالتآكل والفناء، ويؤسس توقعًا منطقيًا بأن الفناء يشمل الكيان بأسره. غير أن دخول أداة الاستدراك «لكن» يعيد توجيه الدلالة، إذ ينقض التلازم المتوقع بين فناء الجسد وفناء الشعور، ويثبت بقاء الشوق واستمراره.

(527) الديوان، ج4، ص: 278

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online

وظيفة «لكن» هنا ليست مجرد تصحيح حكم سابق، بل نقل الخطاب من مستوى فيزيائي (الجسد) إلى مستوى وجداني (الشوق)، مما يُحدث انتقالاً في مركز الثقل الدلالي داخل البيت. ويعزز هذا التحول التوازي التركيبي في: "ليس يبلى» / «ليس تبلى الشجون"، حيث يتكرّس معنى الاستمرار عبر النفي المضاعف.

وعليه فإن البنية البلاغية تقوم على:

- تقرير → استدراك → تثبيت المفارقة
- انتقال من الحسّي إلى المعنوي
- توتر بين الزمني واللازمني

ثانيًا: القراءة في ضوء نظرية الفوضى

يمكن تفسير هذا التحول بوصفه انتقالاً لاخطيًا في مسار المعنى. فالمسار المتوقع بعد تقرير الفناء هو الامتداد الطبيعي لهذا الحكم، غير أن «لكن» تقطع هذا الامتداد، وتُحدث انعطافًا دلاليًا ينقل النص إلى نتيجة غير متوقعة.

بهذا المعنى تعمل الأداة كنقطة تحول داخل البنية الشعرية؛ إذ إن عنصرًا لغويًا واحدًا أعاد تشكيل العلاقة بين الجسد والعاطفة. فالتحول لم يكن تدريجيًا، بل جاء فجائيًا، وهو ما يجعل البنية الدلالية غير خطية.

غير أن هذا التوصيف يظل توصيفًا تفسيريًا، لا بديلاً عن التحليل البلاغي؛ فالفوضى هنا لا تعني اضطرابًا عشوائيًا، بل تشير إلى إعادة تنظيم المعنى عبر انتقال مفاجئ في مساره.

الاستدراك بوصفه إعادة توزيع لمركز المعنى

يقول أبو تمام:

شَكَوتُ وَما الشَكوى لِنَفسِيَ عادَةٌ وَلَكِن تَفيضُ النَفسُ عِندَ اِمتِلائِها[528]

وهو من أجمل أبيات الشعر الوجداني التأمّلي، ويحتوي على أداة الاستدراك «لكن» التي تشكّل في هذا السياق محورًا فاصلاً بين سمتين متضادتين: التحفّظ والانفجار، وبهذا يتيح لنا

(528) الديوان، ج4، ص: 442

كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so + 90 5528004880 http://ium.usa.online
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا Islamic University of Minnesota IUM المركز الرئيسي

مدخلاً مثاليًا لقراءته من زاوية نظرية الفوضى.

أولاً: التحليل البلاغي

يقوم البيت على بناء تقابلي بين صفتين: التحفّظ والبوح. يُقرّ الشاعر بالفعل «شكوتُ»، ثم يسارع إلى تقييده بنفي العادة: «وما الشكوى لمثلي عادةٌ»، فيؤسس صورة ذاتية قائمة على الصبر وضبط النفس. غير أنّ أداة الاستدراك «لكن» تعيد توجيه الدلالة، فتجعل الشكوى نتيجة ظرف داخلي استثنائي هو «امتلاء النفس".

بهذا تتحول الشكوى من سلوك دائم إلى أثر عارض ناتج عن تراكم. وظيفة «لكن» هنا هي نقل الحكم من المستوى الأخلاقي (العادة) إلى المستوى الانفعالي (الامتلاء)، أي من صفة ثابتة إلى حالة طارئة.

تتحقق البنية الأسلوبية عبر:

- تقرير فعل
- نفي ثباته
- تعليل استثنائه

مما ينتج توترًا بين الثبات والتحول داخل الجملة الواحدة.

ثانيًا: القراءة في ضوء نظرية الفوضى

يمكن تفسير هذا التحول بوصفه انتقالاً نوعيًا في البنية الدلالية. فالنص يؤسس أولاً حالة من الاتزان (الشخصية التي لا تعتاد الشكوى)، ثم يُدخل عنصرًا داخليًا («امتلاء النفس») يؤدي إلى تغير في السلوك.

بهذا المعنى تمثل «لكن» لحظة انعطاف يُعاد فيها تنظيم العلاقة بين السبب والنتيجة؛ إذ لا تأتي الشكوى امتدادًا مباشرًا للطبع، بل نتيجة تراكم يؤدي إلى تحوّل مفاجئ في المخرجات.

يمكن وصف هذه الحركة بأنها بنية لاخطية، لأن السلوك النهائي (الشكوى) لا يُستنتج مباشرة من المعطى الأول (عدم العادة)، بل ينتج عن تغير في الحالة الداخلية. غير أنّ هذا الوصف يظل تفسيرًا لاحقًا للتحليل البلاغي، لا استبدالاً له.

تشير النماذج المدروسة إلى أن الاستدراك عند أبي تمام يتجاوز حدود التقييد الجزئي، ليؤدي وظيفة إعادة تنظيم داخل البنية الدلالية.

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
Islamic University of Minnesota
IUM المركز الرئيسي
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى تحليل أداة الاستدراك «لكن» في شعر أبي تمام من منظور أسلوبي تحليلي، مع الاستفادة من مفاهيم محددة من نظرية الفوضى بوصفها إطارًا تفسيريًا مساعدًا. وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. تؤدي «لكن» في شعر أبي تمام وظيفة بنيوية تتجاوز التصحيح النحوي.
2. ينتج عن الاستدراك انتقال مفصلي يعيد توزيع مركز المعنى داخل البيت.
3. يتكرر في النماذج المدروسة نسق ثلاثي: تقرير، تقييد، إعادة توجيه.
4. يمكن توصيف هذا الانتقال بوصفه حركة غير خطية في مسار الدلالة.
5. تسهم المقاربة البينية في تفسير التحول دون أن تحل محل التحليل البلاغي.

كما تتمثل الإضافة التي يقدمها هذا البحث في تقديم قراءة إجرائية منضبطة توظف مفاهيم مختارة من نظرية الفوضى داخل تحليل بلاغي محدد، دون إسقاطات مجازية عامة. والكشف عن خصوصية توظيف «لكن» عند أبي تمام من حيث موقعها البنيوي وقدرتها على إحداث انعطاف نوعي في الدلالة. وإبراز إمكانية توظيف المقاربات البينية في الدرس البلاغي العربي ضمن ضوابط منهجية واضحة.

اقتصرت هذه الدراسة على تحليل نماذج مختارة من شعر أبي تمام، دون اللجوء إلى استقصاء إحصائي شامل لمواضع الأداة في مجمل ديوانه، كما ركّزت على أداة استدراكية واحدة هي «لكن» من غير عقد مقارنة موسعة مع أدوات استدراك أخرى في الشعر العباسي. وانحصرت المعالجة في البعدين الدلالي والأسلوبي، دون التوسع في الأبعاد التداولية أو الإيقاعية التي يمكن أن تكشف مستويات أعمق من أثر الاستدراك في البنية الشعرية.

أما آفاق البحث المستقبلية، فتتمثل في إمكان إجراء دراسة مقارنة بين توظيف «لكن» عند أبي تمام وعدد من شعراء العصر العباسي، بما يبرز الخصوصية الأسلوبية لكل شاعر، فضلاً عن توسيع نطاق التحليل ليشمل أدوات استدراك أخرى مثل «بل» و«غير أن»، للكشف عن الفروق الوظيفية بينها. كما يمكن تطوير المسار البحثي بدراسة البعد التداولي للاستدراك وأثره في تشكيل أفق التلقي، وما يثيره من توتر دلالي يسهم في إعادة توجيه توقعات القارئ داخل النص الشعري.

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 90 5528004880 http://ium.usa.online

المصادر والمراجع:

- بلكا، إلياس، الوجود بين السببية والنظام، ط1، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2009
- أبو تمام، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، ط4، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة: دار المعارف.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983
- الشافعي، أبو العرفان محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.
- الطيب، عبد الله، البلاغة العربية: دراسة تحليلية للأساليب، القاهرة: دار الكتب العلمية، 2004.
- غرايبة، نهال عبد الله، نظرية الفوضى في الشعر العباسي: من التمرد إلى الجمال (مقاربة نصية في شعر أبي نواس، وأبي تمام، والمتنبي)، ط1، عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2025،
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، 1996
- ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، شرح المفصل للزمخشري، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001.